من تاريخ آمد وميافارقين

لابن الازرق الفارقي

ذكر ولاية نجم الدين إلغازي وملكه ميافارقين(١)

قيل لما فتح ابن جهير ديار بكر ، كان الامير ارتق معه (٢) ، فلما استقر ولم يبق له موضع انفصل عنه ومضى لما جاء ملكشاة الى الشام(٣) ، وملك بيت المقدس وما حوله ، واقام بالساحل ومات هناك ، وملك بيت المقدس بعده ولده الامير سكمان ، والامير نجم الدين الغازي(٤) مدة ، وسار نجم الدين الغازي الى السلطان محمد(٥) وبقي في خدمته واقطعه حلوان مدة ، ثم اعطاه سنجر(٦) العراق ، فاقام ببغداد ، وملك الفرنج الساحل وبيت المقدس فوصل الامير سكمان الى هذه البلاد وملك حصن كيفا ، وكان ملك الامير الياقوتي ماردين ، فوصل نجم الدين الغازي الى هذه البلاد ، ومات الياقوتي ، وكان فيها من قبل الياقوتي ، فدخل تحت طاعة سكمان ، من حصن كيفا ، وبقي بها وملكها قيل الى سنة ثمان وتسعين واربعمائة الامير سكمان وبقي فيها الى ان مات الامير سكمان ، وملك بعده ابنه الامير ابراهيم بن سكمان ، فذفذ الى ماردين شمس واخذ ابنا له رهينة وبقي عنده بحصن كيفا مدة ، ثم بلغه انه رشا الى ولده وجيشه ، فلما وصل نجم الدين الغازي سلمها اليه ، وبقي الامير ابراهيم مدة ثم مات بحصن كيفا ، وولي موضعه اخوه الامير داود بعد اخيه سكمان ، وبقي مدة ، وكان الامير شمس ببلد(٧) وماردين بيده لم يسلمها الى احد ، وحضر نجم الدين وسلمها اليه في سنة سبع وخمسمائة ، وحصلت للغازي واولاده من ذلك اليوم الى الان ، واما الامير شمس فاولد الامير سنقر ، واولد سنقر يوسف ، واولد يوسف رسول ، وقيل ملك ماردين في سنة سبع وثمان وخمسمائة على ان بقي بها الى سنة اثنتي عشرة وخمسمائة ، ثم ذفذ السلطان يقول له ان ميافارقين خربت واضمحلت ، وهي بلد لايرى مثله ، فذفذ السلطان الى الدزبكي رسولا يأمره ان يسلم

ميافارقين الى نجم الدين الغازي ، فحضر وسلمها اليه ، فدخل اليها في رابع جمادى الاخر سنة اثنتي عشرة وخمسمائة وملكها ، وخرج الدزبكي ونزل على الروابي ، واقام ثلاثة ايام ، فلما كان اليوم الرابع وصل رسول مجد من السلطان يقول له : لاتسلم ، فوجد الامر قد فات(٨) ، واستقر نجم الدين بميافارقين ، واظهر العدل والاحسان الى الناس وازال عنهم الاثقال والاقساط والانزال من دورها ، وكان الناس من النزل في دورهم في شدة شديدة ، وكان اكثرها خراب لاختلاف الدول وتغير الاصحاب كل قليل ، ومن تملكهم يحيف عليهم ويظلمهم ويصادرهم لعلمه انه لايقيم ولايدوم ملكه ، ومن حيث ملك نجم الدين الغازي استقر وطابت قلوبهم واستقر الناس في دورهم ، وحصلت الاجناد التي مالهم دور ينزلون بها ويضربون لهم في خرابات المدينة خركا وات(٩) ، لان اكثر المدينة كانت خرابا ، وكانت الطرقات مخيفة من الحرامية وقطاع الطرق بحيث انه كان لاتقدر القافلة تمضي الى آمد الا ومعها الشحنة والخيل وكذلك الى ارزن(١٠) وحصن كيفا وحاني(١١) وماردين محتاجون من يخفرهم في المسافة القريبة لخراب البلاد والضياع ، فمن حيث ملك نجم الدين امنت الطرقات والبلادوانهزمت الحرامية وانعمرت الضياع ، وبدأت ميافارقين في العمارة ، وساس الناس احسن سياسة ، وبقي الى سنة ثلاث عشرة وخمسمائة ، وملك حلب ، ولقي الافرنج وكسرهم بطرق حلب وغنم اموالهم ، واسر منهم خلقا عظيما ، وهي كسرة البلاط .

واما حلب فانه اخذها من سلطان شاه بن الملك رضوان ، وكان اخذها من الامير ابن (١٢) بلك

قيل وفي سنة ثلاث عشرة وخمسمائة احترق جامع آمد ، وفي سنة اربع عشرة وخمسمائة ملك نجم الدين نصيبين ، وسار اليه القاضي علم الدين بن نباتة وجملة من اهل ميافارقين ، فلقوه بها ، وهنوه بفتحها ، وخلع عليهم واحسن اليهم ، وعادوا الى ميافارقين .

قيل وفي سنة خمس عشرة وخمسمائة نفذ اهل تفليس الى نجم الدين الغازي يستدعونه ليسلموا اليه تفليس وكان ملكها بيد اهلها من مقدار اربعين سنة ، وكان ملاكها قوم من اهلها يسمون بنو جعفر ، من مقدار مائتي سنة ، ثم اذقرض كبارهم ، واضمحلوا فعاد امرها الى اهلها الى ها هنا ، وكان كل شهر يلي امرهم منهم واحد وبقوا بذلك مدة اربعين سنة ، وكان الملك داود ملك الابخاز والكرج قد ضايقها مضايقة شديدة واضمحلت ، وكان قد نفذوا الى السلطان طغريل بن السلطان محمد ، وكان ملك جنزى(١٤) وارزن فنفذ لهم شحنة ، وزادت مضايقة ملك الكرج(١٥) لهم ، وبقوا على هذا مدة ، فاتفقوا ان يحملوا له في كل سنة عشرة الاف دينار ، ويكون عندهم شحنة معه عشرة فوارس ، فبقوا على ذلك مدة ، ونفذوا الى نجم الدين الغازي يستدعونه ، فسار ومعه عشائر عظيمة ، ومعه دبيس بن صدقة (١٦) ملك العرب ، وكان صهر نجم الدين على ابنته جهان خاتون ، وكان قد وصل اليه في تلك السنة ، فسار بالعساكر ونفذ الى شمس الدولة طغان ارسلان صاحب ارزن وبدليس(١٧) ، وكان له مدينة دوين(١٨) ، وامره ان يدخل من شرقي تفليس ، وسار واخذ معه القاضي علم الدين ابن نباته ، ومعه ولده القاضي علم الدين ابو الفتح الكبير ، هو الان قاضي ماردين ، والوزير ابي تمام ابن عبدون ، وسار معه ، فوصلوا الى ارزن الروم ، وتخلف القاضي والوزير بأرزن الروم ، ودخل بالعساكر من ولاية الفرس وطريق برياليث ، واتفقوا ان تجتمع العساكر اجمع على باب تفليس ، ويحضر السلطان طغريل من ناحية جنزى ، وسار طغان بن سكمان الاحدب من دوين ، ووصل نجم الدين الى ان بقي بينه وبين تفليس الجبل مقدار نصف يوم ، وخرج الملك داود ومعه ولده ديميطري من جانب الغرب في عساكر عظيمة ، وكان يحدر عليهم من الجبل وهم في لحفه ، ولم يكن وصلت عساكر السلطان طغريل ولا شمس الدولة الاحدب بمن معه ، وتقاتلوا قتالا عظيما ، وكسر نجم الدين وقتل معه خلق كثير ، وغنم الكفار منهم غنيمة عظيمة ، وخرج نجم الدين ودبيس في نفر يسير بحيث ان بقي عندهم من الاسرى الى زماننا ، ولقد رأيت موضع

الوقعة حين دخلت الى تفليس في سنة ثمان واربعين وخمسمائة ، فاقمت بها ثم وصلت الى خدمة ملك الابخاز ، وبقيت عنده ، وخرجت معه وسرت في ولايته معه مقدار نيف وسبعين يوما ، واجتاز الى اللان وطرف الدربند والى ولاية الابخاز ولقد وصلنا بعض الايام في ولاية الابخاز الى برج واسع تحت جبل في قلعة شامخة ، ونزل الملك هناك ، وقال لي ملك الابخاز : يافلان في هذه القلعة رجل اسير مستعرب من نوبة الغازي ، فاصعد اليه من الغد وابصره واسأله من اين هو ، فعولت على ذلك ، وقلت اطلب من الملك ليطلقه فبت تلك الليلة ، فلما كان من وقت السحر ضرب بوق الرحيل ، لانه وصل اليه الخبر ان ارض ولايته قد تشوشت بغيابه ، فحين وصله الخبر رحل ، ورحل الناس ، ولم يقدر لي الاجتماع بذلك الرجل ، وقيل في سنة خمس عشرة وخمسمائة كانت ، والاول اصح ، الملك سكمان بحلب ، ولما كسر نجم الدين وعاد بمن بقي معه رحل ملك الابخاز بالغنائم والاسرى ونزل على تفليس وحاصرها مدة ثم هدم سورها من قبل الغرب ودخلها سيفا فاحرقها وهدمها وبعدثلاثة ايام أمن اهلها وطيب قلوبهم ووعدهم بالجميل وأسقط عنهم تلك السنة الاعشار والمؤن ، والاقساط والخراج ، وشرط للمسلمين كل ما ارادوه من الشرط الذي هو والان باق بها : انه لايعبر الى جانب المسلمين بالمدينة خنزير ولا يذبح بها ولا في سوقها ، وضرب لهم الدراهم وعليها اسم السلطان والخليفة في الوجه الواحد ، وفي الوجه الاخر اسم الله واسم النبي عليه السلام ، واسمه على جانب الدرهم ، ونادى في البلد : إن من آذى مسلما قد اهدر دمه ، وشرط لهم الاذان والصلاة والقراءة ظاهرا ، وان يخطب يوم الجمعة ويصلي ويدعي للخليفة والسلطان ولايدعي لغيرهما على المنبر ، وشرط ان حمام اسماعيل بتفليس لايدخلها كرجي ولاارمني ولايهودي ، ووصف خدمة(١٩) الكرجي في السنة خمسة دنانير ، وخدمة اليهودي اربعة دنانير ، وخدمة المسلم ثلاثة دنانير ، واحسن الى المسلمين غاية الاحسان ، وجعل لأهل العلم والدين والصوفية اكرم المنازل ، ومااليس لهم عند المسلمين ، ولقد رأيت هذه الشروط كلها لما دخلت الى تفليس في سنة ثمان واربعين

وخمسمائة ولقد رأيت ملك الأبخاز ديميطري الذي كنت في خدمته وقد نزل الى تفليس وأقام بها أياما ، ونزل ذات يوم جمعة الى الجامع وجلس على دكة تقابل الخطيب ، فوقف موضعه حتى خطب الخطيب . وكل الناس يسمع الخطبة جميعها ، ثم خرج وأطلق برسم الجامع مائتي دينار أحمر ، وكنت أرى العلماء والوعاظ والأشراف والصوفية والذين يصلون يكرمهم ويعطيهم ويحترمهم ، ويعتمد معهم ماليس بمثله ، ولقد كنت أرى احترامه للمسلمين مالو أنهم ببغداد مااحترموا تلك الحرمة .

وقيل في سنة خمس عشرة وخمسمائة تزلزلت مدينة جنزى وهي كنجة وانخسف طرف منها وانهدم سورها ، فسار الملك داود بأصحابه وخيله ورجله وقصدها ، ونهب اموالهم وماكان فيها ، وقتل منهم خلقا عظيما وسبى منهم خلقا عظيما لايحصى بحيث حملت الأسارى الى تفليس على العجل من كثرتهم وسيقوا المسلمين مثل قطعان الأغنام اسارى ، ودخل بهم الى تفليس فاشترى أهل تفليس أكثرهم واطلقوهم ، وقال لي جماعة من أهل تفليس اننا ماافتقرنا الا من تلك السنة .

قيل وفي سنة خمس عشرة وخمسمائة قتل ممدود بجامع دمشق ودفن بالمرج ، قيل وفي سنة خمس عشرة وخمسمائة عاد نجم الدين الى ماردين ، وأقام بها سنة ست عشرة وخمسمائة وخرج الى أوشك الهينة (٢١)من باب ميافارقين وأقام هناك ومعه زوجته الخاتون بنت طغرتكين (٢٢)صاحب دمشق ، فمرض وتوفي يوم الخميس سابع عشرين رمضان ، فحمل ليلا وركب ولده الأمير شمس الدولة سليمان والخاتون ، ووصلوا متفرقين ليلا ، ووصلوا الى باب الهوة (٢٣) ، وأجلسوا الأمير على فرسه ومن ورائه رجل يسكنه ، وتقدموا وصاحوا فنزل الوالي وكان اسمه كنغلي ، ودخل شيخ ممن صحب الأمير نجم الدين من أول زمانه ، وكلمه شمس الدولة والخاتون ، ففتح الباب فقالوا : ان

الأمير مريض ، فلما حصلوا في ارض القصر صاحوا وضجوا وقالوا : مات الأمير في هذه الساعة ، وأصبح الناس ، وصعد أهل البلد ومن كان بها من الجند الى القصر وغسل الأمير وصلي عليه ، ودفن بالسندلي مدة ، ثم أخرج ودفن في مسجد الأمير شرقي قبة السلطان ، فدفن هناك ، وكان نجم الدين الغازي قد تزوج بفرخبدا خاتون بنت الملك رضوان (٢٤)لما ملك حلب ، وحقد عليها ولم يدخل بها ولا رآها ، ومات ولم يرها ، تزوجها بعده الأمير بلك ابن بهرام بن أرتق .

قيل واستقر شمس الدولة سليمان بميافارقين ، واستوزر الوزير عبد الملك بن ثابت ورد الأمور اليه ، وأخذ خرتبرت(٢٥) من الأمير بلك وبقيت معه الى أن مات ، وأخذها الأمير داود ، وأخذ بلد حزة من الأمير داود وأخذ الضياع التي أخذها حسام الدين صاحب ارزن من بلد ميافارقين .

وفي سنة سبع عشرة قتل الأفضل أمير الجيوش بمصر قتلته الباطنية (٢٧)وترك والي ميافارقين في برج الملك مملوكه ختلج (٢٨) شاه ونفذ خطب سيدة خاتون بنت السلطان قلج ارسلان بن سليمان بن قطلمش ، ومضى القاضي أبو سالم بن نباته أحضرها اليه من ملطية ، ودخلت وكان ملكه بميافارقين ، وكان لما مات نجم الدين بن السعيد حسام الدين تمرتاش وولده بماردين فملك ماردين وأرزن وكان معه الصاحب الحاجب شمس الحجاب محمد اكديش ، وكان زوجه نجم الدين الغازي بأم السعيد حسام الدين .

قيل وفي سادس عشرين ربيع الآخر مات القاضي علم الدين أبو الحسن علي بن يحيى بن نباته بميارفارقين ، وولى القاضي ولده تاج الدين القضاء ، وهو أبو سالم رحمه الله ، وخلع عليه شمس الدولة وأكرمه وولاه موضع ابيه ، واستقر في القضاء ، وكان ولد لشمس الدولة ابنا اسمه محمود ، ولقد رأيته بماردين وهو في اسوأ

حال من سوء طريقته وقبح سيرته في حق نفسه وخروجه عن طاعة أهل بيته ورذالة نفسه ، وماأعلم ماكان منه .

وكان شمس الدولة أميرا عادلا حسن السريرة مقداما شجاعا ، وعاش الى الخميس سادس عشر رمضان وكان وقت العصر ، فمات في سنة ثمان عشرة وخمسمائة ودفن عند ابيه في مسجد الأمير ، واستبد الوالي ختلج شاه بميافارقين ، وحصلت له ، وتحت حكمه .